نص مصور

من هم الغرباء

من كتاب

سلسلة الرسائل التراثية الرقمية

الغرباء

الإمام الحافظ أبي بكر

محمد بن الحسين بن عبد الله الآجري البغدادي

(ت: ٣٦٠هـ)

تحقيق

القسم العلمي لمركز تبصير

تبصير

للنشر والتوزيع

القسم العلمي بمركز تبصير

الغرباء/ تأليف: محمد بن الحسين الأجري / ط٢/ ٢٠٢٣م

٦٤ ص، ١٤.٥× ٢٢ سم

الترقيم الدولي: ٩-٨ -٨٦٣٩٨ -٩٧٧-٩٧٨

رقم الإيداع: ٢٠٢٢/٢٥٥٤٥

دار النشر: مركز تبصير لتقريب التراث والدراسات العلمية والترجمة

عنوان الكتاب: الغرباء

المؤلف: محمد بن الحسين الأجري

رقم الطبعة: الثانية

تاريخ الطبع: ٢٠٢٣م

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناشر

مركز تبصير

ويحظر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملًا أو جزئيًا، أو تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناشر الخطية الموثقة

العنوان: ٣ شارع مسجد الفرقان – القناطر الخيرية – القليوبية جمهورية مصر العربية

التليفون: ٠١٠١٩٧٥٧٠١٠ – ٠١١٠٢٢٦٠٠٢٠

website: http://tbseir.com- twitter: @tabseir- Fb: @tbseir

Email: tabseir@gmail.com

٩- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ: مَا مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ»؟

قِيلَ لَهُ: كَانَ النَّاسُ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ النَّبِيُّ ﷺ أَهْلَ أَدْيَانٍ مُخْتَلِفَةٍ، يَهُودٌ وَنَصَارَىٰ وَمَجُوسٌ وَعَبَدَةُ أَوْثَانٍ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ كَانَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ كُلِّ طَبَقَةٍ مِنْهُمْ غَرِيبًا فِي حَيِّهِ، غَرِيبًا فِي قَبِيلَتِهِ، مُسْتَخْفِيًا بِإِسْلَامِهِ، قَدْ جَفَاهُ الْأَهْلُ وَالْعَشِيرَةُ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ ذَلِيلٌ حَقِيرٌ، مُحْتَمِلٌ لِلْجَفَاءِ، صَابِرٌ عَلَىٰ الْأَذَىٰ، حَتَّىٰ أَعَزَّ اللهُ عَزَّوَجَلَّ الْإِسْلَامَ، وَكَثُرَ أَنْصَارُهُ وَعَلَا أَهْلُ الْحَقِّ، وَانْقَمَعَ(١) أَهْلُ الْبَاطِلِ، فَكَانَ الْإِسْلَامُ فِي ابْتِدَائِهِ غَرِيبًا بِهَذَا الْمَعْنَىٰ.

وَقَوْلُهُ ﷺ: «وَسَيَعُودُ غَرِيبًا» مَعْنَاهُ -وَاللهُ أَعْلَمُ-: أَنَّ الْأَهْوَاءَ الْمُضِلَّةَ تَكْثُرُ فَيَضِلُّ بِهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ، وَيَبْقَىٰ أَهْلُ الْحَقِّ الَّذِينَ هُمْ

(١) انقمع: أي: ذل. وقمعه وأقمعه أي: قهره وأذله فانقمع. ينظر: «مختار الصحاح» (ص٢٦٠)، و«لسان العرب» (٨/ ٢٦٠).

عَلَىٰ شَرِيعَةِ الْإِسْلَامِ غُرَبَاءَ فِي النَّاسِ، أَلَمْ تَسْمَعْ إِلَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «تَفْتَرِقُ أُمَّتِي عَلَىٰ ثَلَاثٍ وَسَبْعِينَ فِرْقَةٍ، كُلُّهَا فِي النَّارِ إِلَّا وَاحِدَةٌ»، فَقِيلَ: مَنْ هِيَ النَّاجِيَةُ؟ فَقَالَ: «مَا أَنَا عَلَيْهِ وَأَصْحَابِي»(١)، وَبِقَوْلِهِ ﷺ: «مُرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ، حَتَّىٰ إِذَا رَأَيْتَ شُحًّا مُطَاعًا وَهَوًىٰ مُتَّبَعًا وَدُنْيَا مُؤْثَرَةً وَإِعْجَابَ كُلِّ ذِي رَأْيٍ بِرَأْيِهِ، وَرَأَيْتَ أَمْرًا لَا يَدَ لَكَ بِهِ، فَعَلَيْكَ بِخَاصَّةِ نَفْسِكَ، وَإِيَّاكَ وَعَوَامَّهُمْ، فَإِنَّ فِيهِمْ أَيَّامَ الصَّبْرِ، الصَّبْرُ فِيهِنَّ كَقَبْضٍ عَلَىٰ الْجَمْرِ»(٢).

١٠- فَهَذِهِ صِفَةٌ مِنْ صِفَاتِ الْغَرِيبِ الصَّابِرِ عَلَىٰ دِينِهِ حَتَّىٰ يَسْلَمَ مِنَ الْأَهْوَاءِ الْمُضِلَّةِ.

١١- وَمِنْ صفات الْغُرَبَاءِ أَيْضًا الَّتِي نُعِتَ بِهَا أَهْلُ الْحَقِّ: أَنْ يَكُونَ الْغَالِبُ عَلَىٰ النَّاسِ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِمْ مِثْلُ مُؤَاخَاةِ الْإِخْوَانِ، وَصُحْبَةِ الْأَصْحَابِ، وَمُجَاوَرَةِ الْجِيرَانِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَعِيَادَةِ الْمَرِيضِ، وَشُهُودِ الْجَنَائِزِ، وَمَا يَجْرِي عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَصَائِبِ، وَمَا يُسِرُّونَ بِهِ مِنَ الْأَفْرَاحِ بِالدُّنْيَا، وَالْمُتَاجَرَةِ وَالْمُعَامَلَةِ وَالْمَحَبَّةِ وَالبِغْضَةِ وَالمُؤَازَرَةِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٤١)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٣٤١)، والترمذي (٣٠٥٨)، وابن ماجه (٤٠١٤) وقال الألباني: «ضعيف، لكن فقرة أيام الصبر ثابتة».

وَالْمُلَاقَاةِ وَالْمُجَالَسَةِ وَالِاجْتِمَاعِ فِي الْوَلَائِمِ، وَأَشْبَاهٌ لِهَذِهِ الْأُمُورِ، فَإِنَّ جَمِيعَ ذَلِكَ يَجْرِي بَيْنَهُمْ عَلَىٰ خِلَافِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ لِغَلَبَةِ الْجَهْلِ عَلَيْهِمْ، وَلِدُرُوسِ الْعِلْمِ فِيهِمْ.

فَإِذَا أَرَادَ الْمُؤْمِنُ الْعَاقِلُ الَّذِي قَدْ فَقَّهَهُ اللهُ عَزَّوَجَلَّ فِي الدِّينِ وَبَصَّرَهُ عُيُوبَ نَفْسِهِ، وَقَبِيحَ مَا النَّاسُ عَلَيْهِ، وَرَزَقَهُ مَعْرِفَةً بِالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَبَيْنَ الْحَسَنِ وَالْقَبِيحِ، وَبَيْنَ الضَّارِّ وَالنَّافِعِ، وَعَلِمَ مَا لَهُ مِمَّا عَلَيْهِ؛ إِذْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَمَلَ بِالْحَقِّ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ مَنْ قَدْ جَهِلَ الْحَقَّ، بَلِ الْغَالِبُ عَلَيْهِمُ اتِّبَاعُ الْهَوَىٰ، لَا يُبَالُونَ مَا نَقَصَ مِنْ دِينِهِمْ إِذَا سَلِمَتْ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ، فَإِذَا نَظَرُوا إِلَىٰ مَنْ يُخَالِفُهُمْ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِمْ ثَقُلَ ذَلِكَ عَلَيْهِمْ، فَمَقَتُوهُ وَخَالَفُوهُ، وَطَلَبُوا لَهُ الْعُيُوبَ؛ فَأَهْلُهُ بِهِ مُتَضَجِّرُونَ، وَإِخْوَانُهُ بِهِ مُتَثَقِّلُونَ، وَمُعَامِلُوهُ بِهِ غَيْرُ رَاغِبِينَ فِي مُعَامَلَتِهِ، وَأَهْلُ الْأَهْوَاءِ عَلَىٰ غَيْرِ مَذْهَبِ الْحَقِّ مُخَالِفُونَ.

فَصَارَ غَرِيبًا فِي دِينِهِ لِفَسَادِ دِينِ أَكْثَرِ الْخَلْقِ، غَرِيبًا فِي مُعَامَلَتِهِ لِكَثْرَةِ فَسَادِ مَعَايِشِ أَكْثَرِ الْخَلْقِ، غَرِيبًا فِي مُؤَاخَاتِهِ وَصُحْبَتِهِ لِكَثْرَةِ فَسَادِ صُحْبَةِ النَّاسِ وَمُؤَاخَاتِهِمْ، غَرِيبًا فِي جَمِيعِ أُمُورِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَا يَجِدُ عَلَىٰ ذَلِكَ مُسَاعِدًا يَفْرَحُ بِهِ، وَلَا مُؤَانِسًا يَسْكُنُ إِلَيْهِ، فَمِثْلُ هَذَا غَرِيبٌ مُسْتَوْحِشٌ؛ لِأَنَّهُ صَالِحٌ بَيْنَ فُسَّاقٍ، وَعَالِمٌ بَيْنَ جُهَّالٍ، وَحَلِيمٌ بَيْنَ

سُفَهَاءَ، يُصْبِحُ حَزِينًا، وَيُمْسِي حَزِينًا، كَثِيرٌ غَمُّهُ، قَلِيلٌ فَرَحُهُ، كَأَنَّهُ مَسْجُونٌ، كَثِيرُ الْبُكَاءِ، كَالْغَرِيبِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ وَلَا يَأْنَسُ بِهِ أَحَدٌ، يَسْتَوْحِشُ مِنْهُ مَنْ لَا يَعْرِفُهُ، فَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: «وَسَيَعُودُ غَرِيبًا كَمَا بَدَأَ» وَاللهُ أَعْلَمُ.

١٢- قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الحُسَيْنِ: فَلَوْ تُشَاهِدُهُ فِي الْخَلَوَاتِ يَبْكِي بِحُرْقَةٍ، وَيَئِنُّ بِزَفْرَةٍ، وَدُمُوعُهُ تَسِيلُ بِعَبْرَةٍ، فَلَوْ رَأَيْتَهُ وَأَنْتَ لَا تَعْرِفُهُ لَظَنَنْتَ أَنَّهُ ثَكْلَىٰ(١) قَدْ أُصِيبَ بِمَحْبُوبِهِ، وَلَيْسَ كَمَا ظَنَنْتَ، وَإِنَّمَا هُوَ خَائِفٌ عَلَىٰ دِينِهِ أَنْ يُصَابَ بِهِ، لَا يُبَالِي بِذَهَابِ دُنْيَاهُ إِذَا سَلِمَ لَهُ دِينُهُ، قَدْ جَعَلَ رَأْسَ مَالِهِ دِينَهُ يَخَافُ عَلَيْهِ الْخُسْرَانَ، كَمَا قَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «رَأْسُ مَالِ الْمُؤْمِنِ دِينُهُ، حَيْثُمَا زَالَ زَالَ مَعَهُ، لَا يُخَلِّفُهُ فِي الرِّحَالِ، وَلَا يَأْتَمِنُ عَلَيْهِ الرِّجَالَ»(٢).

(١) الثكلىٰ: المرأة التي فقدت ولدها.

(٢) رواه ابن بطة في «الإبانة الكبرىٰ» (٥٨٥).